الأكاديمية للدراسات
الإجتماعية والإنسانية

أسس حوار الحضارات في الاسلام

Foundations of Dialogue of Civilizations in Islam

أ. محمد جعرير
أستاذ محاضر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، شعبة الفلسفة بجامعة حسيبة بن بوعلي الشلف
djarir1962@gmail.com

ملخص

للحوار جملة من الشروط والضوابط والأسس، إذا التزم بها الحوار بين الحضارات، على مستوى العالم الاسلامي، أمكن الوصول الى نتائج ايجابية تخدم في المقام الأول، المصالح العليا للأمة الاسلامية وقضاياها، وتعزز الجهود المبذولة على مستويات كثيرة للدفاع عن هذه المصالح ولنصرة هذه القضايا، وتدعم العلاقات الدولية وتقويها، وتسهم في اقرار الأمن والسلم والاستقرار في العالم، وترفع من شأن قيم ومبادئ التعايش بين بني البشر كافة. وبذلك يؤتي الحوار ثمرته المرجوة، ويساهم في تعزيز التعاون الانساني، وفي تعميق مفهوم التعايش بين الامم والشعوب، وإشاعة قيم الحوار على جميع المستويات، وفي ذلك الرد الموضوعي على دعاة الصراع الحضاري، وعلى أنصار الصدام بين الحضارات والثقافات الذين ينشرون الرعب بين المجتمعات الانسانية، ويهددون العالم بأفكارهم الهدامة وأفعالهم المخربة.

ثم إن الأصل في الحضارات، الحوار لا الصراع، وأن على كل طرف عليه أن يلتزم بآداب الحوار وشروطه وضوابطه، ويحترم الطرف الآخر، ويقدر مرجعيته وخصوصيته الثقافية، والإسلام خير حضارة وضعت أسس حوار الحضارات وعززت هذا الحوار على مدار التاريخ الإنساني، كما أن الإسلام يرفض المركزية الحضارية وإلغاء الحضارات الأخرى وإن كانت ضعيفة، كما يرفض أيضاً تهميش الحضارات وسيطرة حضارة واحدة على العالم، ونقصد بذلك المثل الأخير حضارة الغرب، وسلوكها في الواقع، في جميع مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والأخلاقية ..

الكلمات الدالة: **الحوار، حوار الحضارات، صراع الحضارات، الإسلام وحوار الحضارات.**

Abstract

The dialogue has a set of conditions, rules and principles. If it is committed to dialogue among civilizations, in the Islamic world, positive results can be reached that serve primarily the supreme interests of the Islamic Ummah and its issues, and promote efforts at many levels to defend these interests and support these issues. Strengthen international relations and contribute to the establishment of security, peace and stability in the world and raise the values and principles of coexistence among all human beings. And thus contribute to the promotion of humanitarian cooperation, to deepen the concept of coexistence between nations and peoples, to spread the values of dialogue at all levels, and in this objective response to the advocates of civilizational conflict and to the supporters of the clash of civilizations and cultures that spread terror among human societies and threaten The world with destructive ideas and destructive actions.

The other is respect for the other party, and its cultural heritage is appreciated. Islam is the best civilization that established the foundations of the dialogue of civilizations and strengthened this dialogue throughout human history, and Islam rejects And rejecting the marginalization of civilizations and the domination of one civilization over the world. In other words, the Western civilization, and its behavior in practice, in all spheres of political, economic and moral life.

Keywords:*Dialogue, dialogue of civilizations, clash of civilizations, Islam and dialogue of civilizations.*

مقدمة

يؤكد الفلاسفة وأصحاب الفكر، على أن الحوار من أهم أدوات التواصل الفكري والحضاري والثقافي والاجتماعي والاقتصادي التي تتطلبها الحياة، ويتضمن –الحوار- الانفتاح على الفكر الآخر، وفهم ما لديه من معلومات أو اتجاهات وأفكار، ولعله وسيلة لتنمية التفكير المشترك، وفي ذلك أيضاً إمكانية التغلب على قصور العقل البشري الواحد، وسبيل إلى توليد الأفكار والبعد عن الانغلاق والانعزالية والجمود، ويكتسب الحوار أهمية من كونه وسيلة للتآلف والتعاون وبديلاً عن سوء الفهم والتقوقع والتعسف.

والحوار عملية تواصلية متكافئة بين اثنين أو أكثر بهدف الوصول إلى الحقيقة واليقين؛ بعيداً عن الجدل أو المفاوضة والخصومة والتعصب.

وهو كذلك ذو دلالات سامية ومقاصد نبيلة؛ ذلك أنه عند علماء المسلمين ومفكريهم: ذو مرتبة علمية واجتماعية ودينية بالغة، يتيمز بالاعتدال والإنصاف بعيداً عن الجدل والمناظرة والمناقشة، وهي مصطلحات كثيراً ما نراها تستعمل مرادفة للحوار في استعمالات غير مقصودة•.

وحوار الحضارات ليس وليد ظرف من الظروف، أو هو حالة طارئة تقتضيها مرحلة ما، ولكنه حالة مستمرة وضرورة مؤكدة، لارتباطه بحياة المجتمعات الانسانية في جميع أحوالها، خاصة حينما تسود التوترات أوضاعها، وتشتد الحاجة الى وسيلة فعالة للتخفيف من حدة النزاعات والصراعات، ولكسر الجمود في العلاقات الانسانية الذي يؤدي الى نشوب الأزمات.

مفهوم الحوار في اللغة

أصل كلمة (الحوار) هو : (الحاء ـ الواو ـ الراء) ... وقد بين ابن فارس في (معجم المقاييس في اللغة) أن : (الحاء والواو والراء) ثلاثة أصول : أحدها لون ، والآخر الرجوع ، والثالث أن يدور الشيء دوراً.[1]

وتعود أصل كلمة الحوار إلى (الحَوْر) وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، يقال: (حار بعدما كار)، والحوْر النقصان بعد الزيادة لأنه رجوع من حال إلى حال، وفي الحديث الشريف:(نعوذ بالله من الحور بعد الكور)[2] معناه من (النقصان بعد الزيادة)، التحاور: التجاوب، تقول: كلمته فما حار إلي جواباً، أي: ما رد جواباً [3]، قال تعالى (إنه ظن أن لن يحور)[4]، أي : لن يرجع[5]، وهم يتحاورون أي: يتراجعون الكلام، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة.[6]

وفي أساس البلاغة: (حاورته: راجعته الكلام، وهو حسن الحوار، وكلمته فما رد علي محورة) [7].

وفي القاموس المحيط (تحاوروا : تراجعوا الكلام بينهم) [8] .. وقد ورد ذلك أيضاً في المعجم الوسيط.[9]

أما في تاج العروس : فيقصد بالمحاورة (المجاوبة ومراجعة النطق والكلام في المخاطبة). [10]

وقد ذهب آخرون إلى أن الحوار لغة : المجاوبة والمجادلة والمراجعة .[11]

مفهوم الحوار في الاصطلاح

يُعرّف الحِوار بأنّه مُناقشة الكلام بين الأشخاص بهدوءٍ واحترام ودون تعصُّب لِرأيٍ مُعيّن أو عُنصريّة، وهو مَطلَبٌ من مَطالِب الحياة الأساسيّة؛ فَعَن طريقه يتمّ التّواصل بين الأشخاص لِتبادُل الأفكار وفَهمِها.[12] يُستخدَم الحِوار لِلكشف عن الحقيقة فَيَكشِف كلّ طرف من المُتحاورين ما خَفِيَ على الطّرف الآخر، وهو الحِوار يُشبع حاجة الإنسان، ويَسمح له بالتّواصل مع البيئة المُحيطة والاندماج بها، إضافةً إلى أنّه يساعد على التعرّف على وجهات النّظر المُختلفة للمُتحاورين.[13] يمكن تعريف الحوار أيضاً بأنّه تَعاونٌ بين الأطراف المُتحاورة بِهدف مَعرفة الحقيقة والوصول لها، وفيه يكشِف كلّ طرف عن كلّ ما خَفِيَ على الطّرف الآخر، يَقول الحافظ الذهبي: (إنّما وضعت المناظرة لكشف الحقّ، وإفادة العالم الأذكى العلمَ لمن دونه، وتنبيهِ الأغفلَ الأضعفَ)،[14] وفي القرآن الكريم جاء الحِوار بِمعنى المُجادلة بالحُسنى.[15]

وهو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب.[16]

الحوار هو: أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين، وقد يصلان إلى نتيجة وقد لا يقنع أحدهما الآخر ولكن السامع يأخذ العبرة ويكوّن لنفسه موقفا.[17]

الحوار هو : محادثة بين شخصين أو فريقين، حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيداً عن الخصومة أو التعصب، بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة ولو ظهرت على يد الطرف الآخر.[18]

الحوار هو : حديث بين طرفين أو أكثر حول قضية معينة، الهدف منها الوصول إلى الحقيقة، بعيداً عن الخصومة والتعصب بل بطريقة علمية إقناعية ، ولا يُشترط فيها الحصول على نتائج فورية.[19]

صراع الحضارات

حتى عام 1996، كان صامويل هنتنجتون Samuel Huntington واحداً من الباحثين البارزين الذي اجتهد لصياغة رؤية تفسيرية، بالاستناد إلى مجريات الواقع الحضاري الذي يعيشه العالم، وبما أن كل رؤية تفسيرية تنطلق من معطيات واقعية وعقلية، فإن هنتنجتون يعتمد مقولة (الصدام) كتعبير عن لحظة الصراع الذي يجري وسيستمر في أرض الواقع، لكي تكون هذه المقولة ذات دلالات عامة وشمولية فإنه يحقنها بقوة دلالية مضافة لتصبح أكثر تعبيراً عن جوهرية هذا الصدام، واتساع شموليته، فمن الصدام الحضاري إلى الصدام الكوني، ومن الصدام الجزئي، بين طرفين أو ثلاثة إلى صدام كلي تشترك فيه القوى البشرية بمختلف تشكيلاتها. ويفترض هنتنجتون (التغيير والصدام) هو مجال ((الحضارات)) فالتغيير يجري في وضعية الحضارات، والصدام سيكون فيما بينها، وهنا إقصاء لرؤية الانسجام والتواؤم الحضاري، وإنزال التنابذ والتنافر إلى حيزات الواقع الفعلي. ثمة مفاهيم ذات مساس مباشر بالخطاب العام الذي يشتغل فيه كتاب (هنتنجتون) وهي: مفهوم الحضارات، مسألة الحضارة الكونية، العلاقة بين القوة والثقافة، ميزان القوى المتغير بين الحضارات، التأصيل في المجتمعات غير الغربية، البنية السياسية للحضارات، الصراعات التي تولدها عالمية الغرب، العسكرية الإسلامية، التوازن والاستجابات المنحازة للقوة الصينية، أسباب حروب خطوط التقسيم الحضاري والعوامل المحركة لها ومستقبل الغرب وحضارات العالم.

إن فكرة (التصادم) إذن قديمة قدم الوجود الإنساني، وهي تتأثر بشكل أو بآخر بثقافة العصر وبطبيعة العلاقات الدولية في المجتمع الإنساني فضلاً عن تغيرات الفكر العلمي والفلسفي، أما فكرة التصادم في الأدبيات الغربية، الفكرية والسياسية والفلسفية والتي تطرح العلاقة بين الشرق والغرب كونها علاقة تصادمية، أو ستكون كذلك فإنها طرحت قبل هنتنجتون، كتحصيل حاصل لنظريات أو تصورات تفسيرية تستشرف العلاقة بين الشرق والغرب عامة والإسلام والغرب خاصة، وقد وجدنا أن روجيه غارودي التصادم، ولو بشكل سريع، يقول غارودي في مطلع كتابه: (الأصوليات المعاصرة، أسبابها ومظاهرها)، إن الأصوليات كل الأصوليات أكانت تقنوقراطية أم ستالينينية، مسيحية يهودية أم إسلامية، تشكل اليوم الخطر الأكبر على المستقبل، فانتصاراتها، في عصر لم يعد لنا فيه الخيار إلا بين الدمار المتبادل والأكيد وبين الحوار، يمكناه أن تحبس كل المجتمعات البشرية في مذاهب متعصبة منغلقة على نفسها، وبالتالي متجهة نحو المصادمة، كما إن هناك العديد من الباحثين والمفكرين الغربيين قد استشرقوا رؤية التصادم القادم بين الغرب والإسلام، وقد اعتمد هنتنجتون طروحاتهم لتعزيز تفسيره للصراع الحضاري القادم. إن هنتنجتون لا ينظر إلا إلى الجوانب السلبية من ظهوريات الإسلام أو الأسلمة في العالم الآخذة بالازدياد، وهو في الوقت الذي يتابع ظهوريات الإسلام في الدول الغربية، وذلك أمر مهم، نراه يركز على أحداث ووقائع تعكس عنف العلاقة بين الغرب والإسلام، وهل فاته أن هذه الأحداث هي نتاج لماكنة السياسة الغربية في العالم، إن ما حدث عام 1991 حين شنت القوات العسكرية الأطلسية حربها الشعواء المدمرة ضد العراق، وطناً وشعباً، كان نتاجاً لقصدية سياسية ستراتيجية غربية في المنطقة، كما أن ما حدث وما زال يحدث وما زال في كوسوفو هو الآخر نتاجاً لإرادة سياسية بالدرجة والأساس، وقد اعتاد الغرب أن يتحين الفرص ويصطاد الأفكار، ويُنضد الايديولوجيات المرحلية ليصل بها إلى حالة التصارع الحضاري، أو الثقافي، إن المهم والأساس بالنسبة للغرب هو مصالحه الاقتصادية وتأمين احتياجاته المادية لحياته لا أكثر.[20]

حوار الحضارات

أما حوار الحضارات فإنّه حالة من التشاور، والتفاعل، والقدرة على التكيف بين الشعوب المختلفة بما تحمله جميع الأطراف من أفكارٍ مخالفة، والقدرة على التعامل مع جميع الأفكار والآراء السياسيّة والدينيّة والثقافيّة، ويكون الهدف من هذا الحوار القدرة على التعارف والتواصل والتفاعل والاحتكاك الحضاري بين الشعوب، ويمكن الاستفادة من قيم الحضارات المختلفة وتبادلها عند حصول الحوار الحضاري، وفي سطور موضوعنا التالي سنعرفكم بشيءٍ من التفصيل عن حوار الحضارات.

لقد اتخذ الحوار بين الحضارات أهميته – وهو تقليد قديم في أزمنة السلم والحرب – بعد الحرب العالمية الثانية، تحت رعاية اليونسكو وبعض المنظمات الدولية والإقليمية. ولقد تأثر هذا الحوار في العقود السالفة بالمناخ الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي؛ الذي كان سائداً أنذاك، إذ كان حواراً في نظام دولي ثنائي القطبية بكل ما يتضمنه ذلك من معان[21] أما بعد الأحداث الهائلة والتي تسارعت ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر سنة2001، فقد تغيرت ظروف الحوار بين الحضارات وتطبيقاته بصورة جذرية، فقد "تموضعت العلاقات الدولية في حيز من النظام الدولي الجديد المتميز بأحادية قطبية تُهيمن عليه دولا غربية مثل الولايات المتحدة الأمريكية مقابل أحادية قطبية مهيمن عليها ممثلة بالعالم الإسلامي والعربي منه تحديدا.[22]

ويشير مصطلح الحوار إلى درجة من التفاعل والتثاقف والتعاطي الإيجابي بين الحضارات التي تعتني به، وهو فعل ثقافي رفيع يؤمن بالحق في الاختلاف إن لم يكن واجب الاختلاف،

ويكرس التعددية، ويؤمن بالمساواة. وعليه فإن الحوار لا يدعو المغاير أو المختلف إلى مغادرة موقعه الثقافي أو السياسي، وإنما لاكتشاف المساحة المشتركة وبلورتها، والانطلاق منها مجدداً. على أن الباحثين يربطون أحيانا الحوار بالحضارات ويلحقونه حينا آخر بالثقافات أسوة بالتصنيف الكلاسيكي، الذي يجعل من الحضارة تجسيدا وبلورة للثقافة.. فالثقافة عبارة عن: عادات وتقاليد ومعتقدات المجموعات البشرية التي تمتاز بسمات مستقرة، كما أنها بمعنى آخر مجموع الاستجابات والمواقف التي يواجه بها شعب من الشعوب ضرورات وجوده الطبيعي بما تحمله من عادات ومعتقدات وآداب.[23]

أما الحضارة فكثيراً ما تعرف بكونها التجسيد العملي لتلك الاستجابات والمواقف وهي بالتالي تنزع إلى العمومية خلافا للثقافة التي تنزع إلى الخصوصية ، كما أننا نعني بها – أي الحضارة – " ذلك الطور الأرقى في سلم تقدم الإنسان.[24]

وتعرّف أيضاً . أي الحضارة . بأنها مجموعة المفاهيم الموجودة عند مجموعة من البشر، وما ينبثق عن هذه المفاهيم من مُثل وتقاليد وأفكار، ونظم وقوانين ومؤسسات تعالج المشكلات المتعلقة بأفراد هذه المجموعة البشرية وما يتصل بهم من مصالح مشتركة، أو بعبارة مختصرة " جميع مظاهر النشاط البشري الصادر عن تدبير عقلي.[25]

بيد أن أشمل تعريفات الحضارة ذلك التعريف القائل : " أن الحضارة تعني الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة؛ فهي مجموع الحياة في صورها وأنماطها المادية والمعنوية [26] وهو تعريف يشير إلى جناحي الحضارة، وهما : المادة والروح، حتى تلائم فطرة الإنسان، وتتجاوب مع مشاعره وعواطفه وحاجاته، كما أنه يشير أيضاً إلى عناصرها التي يمكن حصرها في:[27]

شروط الحوار الحضاري

الاعتراف بالآخر لكي يتحقق الحوار الحضاري، فيجب أن يعترف أطراف الحوار ببعضهم البعض، حيث إنّ الحوار يتطلّب قبولاً مبدئيّاً من كافة الأطراف بحقه في الوجود، وخصوصيته التي لا ينبغي لأحد تغييرها، وحقه بالحفاظ على مقوماته، وتناقلها عبر أجياله المتعاقبة، والاعتراف بالآخر لا يعني أننا ندرك وجود الحيوانات والجمادات والأشياء الأخرى من حولنا، وإنّما يتطلّب حصول تقارب بين المتعارفين، والاقتناع بأنّ كل من أطراف الحوار مختلف عن الآخر، وغير ذلك يؤدي إلى محاولة كل طرف غزو وتدمير الطرف الآخر، مما يؤدي إلى عيش العالم بالصراع والصدام الدائم بعيداً عن الحوار والتعارف. التبادل الحضاري التبادل الحضاري هو أن يكون هناك تبادل لكل طرف من أطراف الحوار بحق إبداء الرأي، وتوضيح موقفه من الأمور التي يتم الحوار حولها مهما كان هناك اختلاف في وجهات النظر، والحوار في اللغة العربيّة كلمة على صيغة فعال، وهي جمع فعل الذي لا يمكن أن يتحقق بوجود طرف واحد فقط، ولكن بمجموعة من الأطراف، وإلا سيصبح هذا الحوار عبارة عن إلقاء درس أو محاضرة، أو فرض رأي معيّن لا يفيد المتكلم ولا المستمع، ولا يضيف إلى عقولهما القوّة أو الفرصة للتعبير عن الرأي.

أما مَفهُومَ الإسلام للحِوارِ الحضَاريِّ ينبُعُ مِن رُؤيَتِه الوَاضِحةِ للتَّعَامُلِ مع غَيرِ المسلِمينَ مِن أهلِ الكِتابِ. فعَقِيدَةُ المسلِمِ لا تكتَمِلُ إلَّا إذا آمَنَ بالرُّسلِ جَميعًا، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَّبِّهِ والمُؤمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِن رُّسُلِهِ وقَالُوا سَمِعنَا وأَطَعنَا غُفرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيكَ المَصِيرُ﴾. [28] لكن يَنبَغِي أن لا يكون هناك تنَازُلٌ عن الثَّوابِتِ تحت مُسمَّى "حِوارِ الحضَارَات"، أو يُفهَم هذا التَّسامُحُ الإنسَانيُّ الذي جعَلَه الإسلامُ أسَاسًا رَاسِخًا لعَلاقَةِ المسلِمِ مع غَيرِ المسلِمِ على أنَّه انفِلاتٌ أو استِعدَادٌ للذَّوبَانِ في أيِّ كِيانٍ مِن الكِيانَاتِ التي لا تَتَّفِقُ مع جَوهَرِ هذا الدِّين. فالتَّأكِيدُ على الخصُوصيَاتِ العقَائِديةِ والحضَارِيةِ والثَّقافِيةِ لا سَبِيلَ إلى إلغائِها، كما أنَّ الإسلامَ لا يُرِيدُ لهذه الخُصوصِيَّات أن تَمنَعَ التَّفاعُلَ الحضَارِيَّ بين الأُمَمِ والشُّعوبِ والتَّعَاون فيما بينها.

أهداف الحوار الحضاري

1- التعرف على واقع الحوار بين الحضارات في الوقت الراهن.

2- توضيح مبدأ الحوار في الإسلام ، ودور الإسلام في تعزيز الحوار الحضاري.

3- توسيع وتعميق ثقافة الحوار في مختلف الجوانب على الصعيد العالمي.

4- العمل على تفعيل المشروع العربي الإسلامي لحوار الحضارات.

أُسسٌ وضوابط للحوارِ بين الحضَارَات

- أن يكون الحِوارُ قَائِمًا على الحيَادِيةِ، بَعيدًا عن التَّعصُّبِ.

- أن يَنطَلِقَ المتحَاوِرُون مِن القَواسِمِ المشتَرَكةِ، ويَترُكُوا الأُمُورَ التي لا يمكن الاتِّفَاقُ عليها.

- أن يَحتَرِمَ الحِوارُ المرجعيَّات والخُصُوصيات الثَّقَافيةِ لكُلِّ طَرَفٍ، وأن يَبتَعِدَ عن التَّسلُّطِ وإلغَاءِ الآخَرِ.

- أن يَتَبَنَّى قَاعِدَةَ (المعرِفةُ والتَّعارُفُ والاعترافُ)، ويَنطَلِقَ منها في سَبيلِ التَّقارُبِ ومَعرِفَةِ ما عند الآخَرِ مَعرِفةً جَيِّدَةً، والتَّعارُفِ الذي يُزيلُ أَسبَابَ الخِلافَاتِ، ويُبعِدُ مظَاهِرَ الصِّراعَاتِ. والاعترافُ الذي يُثمِّنُ ما عند الآخَرِ، ويُقدِّرُ ما يَملِكَه. وهو ما يُعِينُ على التَّقارُبِ والتَّعاون.[29]

- فأبنَاءُ الحضَارةِ الإسلاميةِ، والدَّاعُون إلى مَشرُوعِها الاجتماعي في عَصرِنا، يُسلِّمون بمُقتَضى هذه القَاعِدةِ، وكونِها مِن شُرُوطِ نجَاحِ حِوارِ الحضَارَات، ولا يَطلُبُون مِن أبنَاءِ الحضَارَاتِ الأُخرَى إلَّا أن يكونَ لهم الموقِفُ نَفسُه، وإلَّا فإنَّ الحِوارَ سَيصبحُ حَدِيثًا مِن طَرَفٍ وَاحِدٍ، أو محَاوَلةً لكُلِّ طَرفٍ لغَزوِ الطَّرفِ الآخَرِ ودَحرِه، وهكذا يَعِيشُ العَالمُ صِراعًا وصِدامًا، ولا يَعِيشُ حِوارًا

ولا تعَارُفًا.

- إنَّ مِن الضَّروري ألَّا يَقُومَ هذا الحِوارُ على "المركَزيةِ الحضَاريةِ" التي تُريدُ العَالمَ حضَارَةً وَاحِدةً، مُسيطِرةً مُهيمِنةً ومُتحكِّمَةً بالحضَارَاتِ الأُخرَى. والطَّبيعي أن يكون العَالمُ مُنتَدَى حضَارَاتٍ مُتعَدِّدِ الأطرَافِ، تتَفَاعَلُ وتتَسَانَدُ بينها، وتتَبَادَلُ الثَّقافَاتِ والعُلومَ والأفكَارَ، في كُلِّ ما هو مُشتَرَكٍ إنسَاني عَامٍ، وبما يَخدِمُ المصلَحةَ العَامةَ للجَميعِ.

- وإن مِن الطَّبيعي أن يكون لدى كُلِّ محَاورٍ يَنتَمي لحضَارَةٍ ما تَصَوُّرٌ للعَالمِ الذي يُحيطُ به، وأن يكونَ مُلمًّا بالحضَارةِ الأُخرَى: وَاقِعَها، تَاريخَها، إمكَانَاتها. ثم يَسعَى للتَّفاعُلِ معها، بُغيَةَ فَهمِها والتَّفَاهُمِ معها. ومِن ثمَّ يَنطَلقُ الحِوارُ الحضَاري على بنَاءِ أخلاقِي.

الحضارات بين الحوار والصراع

قد لا نحتاج إلى دَليلٍ لنُثبتَ أنَّ البَشريةَ مرَّت بفتراتٍ من الصِّراعِ المتوَاصِلِ بين الحضَارَات. فالحرُوبُ المتعَاقِبةُ والدَّمَارُ النَّاتِجُ عنها يكفي دليلًا واضِحًا على وُجُودِ الصِّراعِ بين الحضَارات. وبالمقَابلِ فالحِوارُ الحضَاريُّ والتَّواصُلُ بالعَلاقاتِ الثَّقافِيةِ والسِّياسيةِ كان له دَورٌ كَبيرٌ في التَّعايُشِ السِّلمي بين كَثيرٍ من الحضَارَات. والأصلُ في علاقَاتِ الشُّعوبِ والأُممِ هو التَّعارُفُ والتَّحَاورُ، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.[30]

وليس الأمرُ كما زَعمَ صاحِبُ كتَاب (صِدام الحضَارَات)، الذي يرَى أنَّ التَّفاعُلَ بين الإسلام والغَرب هو صِدَامُ حضَارَات[31]. والصَّوابُ عكس ذلك، فالتَّفاعُلَ بين الإسلام وأي حضَارَةٍ أخرَى -لاسيما الغَرب- قائمٌ على التَّعاون والشَّراكَةِ الإنسَانيةِ المعرفِيةِ والثَّقافِيةِ. فتَاريخُ العَلاقةِ بين الحضَارَتين الإسلاميةِ والغَربيةِ عَرَفَ فتَرَاتِ حِوَارٍ وتفَاعُلٍ، وفتَرَات صِدَام وتطَاحُن. والحوارُ والتَّقارُبُ لا يمكن أن يَتِمَّ إلَّا حين يَعتَرفُ الآخَرُ بقَانُونِ تدَاوُلِ الحضَارَاتِ، وأن يُقِرَّ أنَّ الحضَارَةَ ليست حكرًا عليه، قال تعالى: ﴿وتلك الأيَّامُ نُداولها بَينَ النَّاس﴾.[32] صحيحٌ أنَّ الحضَارةَ اليومَ مِلكٌ للغَربِ كما كانت بالأمسِ مِلكًا للمسلمين، لكنها قد تكون غدًا لأُمَّةٍ جَديدَةٍ!

إنَّ البَديلَ عن الصِّراعِ الحِوارُ؛ ولتَلافي تحوُّلِ الخِلافِ إلى أزمَةٍ، ولتَلافي الحلِّ المعتَمِدِ على العُنفِ، ليس هناك من سَبيلٍ غَيرَ الرُّجوعِ إلى نقَاشٍ عقلانيٍّ وجَدلٍ مَنطِقيٍّ كمَنهَجٍ مُلائِمٍ لحلِّ المشاكِلِ التَّطبيقِيةِ؛ أي تلك التي تعنى بالأغرَاضِ العَمَليةِ، حيث تتَدَخَّلُ القِيمُ ويتَدخَّلُ الرَّأي.

إنَّ مُصطَلحَ "النِّظامَ العَالميَّ الجَديدَ"، الذي يتَحدَّثُ عنه في وسَائِلِ الإعلامِ العَالميةِ، يعني حضَارَةً واحِدَةً مُسيطِرةً مانِعةً لما سِواها؛ أمَّا النِّظامُ العَالمي المنشُودُ فهو نِظامٌ يقومُ بالفِعلِ على التَّعايُشِ بين البشر.

ملامح المشروع الإسلامي لحوار الحضارات

الإنسَانُ كَائِنُ عَقلٍ واجتِماعٍ، وكَائِنُ عَلاقَةٍ وحَاجَةٍ؛ ومِن البداهَةِ القُولُ بأنَّ هذه الأحوالُ أحوجُ حَاجَتِها اللقَاءات المتحَاورَةِ، ليكون المجتمَعُ على بَيِّنَةٍ من أمرِ عَلاقَاتِه، وعلى تنَاسُقٍ مُؤتَلِفٍ، وتفَاهُمٍ وَاعٍ، وترَابُطٍ معقُولٍ.[33]

وحين يَقتَنِعُ العَالمُ برُمَّتِه بأنَّ حِوارَ الحضَارَات هو البَديلَ عن صِراعِها، يتَحتَّمُ على الحضَارةِ الإسلاميةِ التي لا تزَالُ تتَسِعُ رقعَتُها يوما بعد يوم، وهي تلك الحضَارةُ العَريقةُ التي يشهَدُ بعرَاقَتِها العدُوُّ قَبلَ الصَّديق، أن يكون لها دَورٌ بَارزٌ ومَشرُوعٌ واضِحٌ في حِوارِ الحضَاراتِ والتَّعايُشِ مع الآخَرِ. وهذا المشروعُ في ظِلِّ هذه الحضَارةِ ذَاتِ الخُصُوصيةِ يحتَاجُ إلى ضوَابطَ وشُروطٍ لأنَّ طَبيعَةَ الحوَارِ تقتضي هذه الضوابطَ والشُّروطَ.

فالحِوارُ حولَ قَضيةٍ ما، أو إشكَالياتٍ في العَلاقَةِ، يحتاجُ -حتى يُثمِرَ ثمَرتَه اليَانِعةَ- إلى توافُقِ الأطرَافِ على نحوٍ يُحقِّقُ مَصلحَةَ الجَميعِ على حَدٍّ سوَاءٍ. وبذلك يُحقِّقُ الحِوارُ آفاقَه ويُحقِّقُ هَدفَه الأهمَّ المتَمثِّلَ بتجَاوزِ إشكَاليةِ التَّصادُم. ولكن ذلك لا يمكن أن يتحقق حضَاريًّا إلا وفقَ اشتراطَاتٍ تتَحَقَّقُ في طَرفٍ أو أطرافِ الحوارِ، وهذه الشروطُ تتَمثَّلُ فيما يلي:

الاعتراف بالآخر

أي أن يكون الحِوارُ قَائمًا على الاحترَامِ المتبَادَلِ، ولا يكون بين قَويٍّ وضَعيفٍ. فليس هناك حضَارَةٌ مُهَيمِنَةٌ، ولا طَرَفٌ يُملي ما يشَاءُ. ولا يَنبَغِي للضَعيفِ أن يتَوهَّم أنَّه يكون طَرفًا في حوارٍ وهو في حَالَةِ ضَعفٍ. فلا بُدَّ له قَبلَ الحِوارِ أن يتجَاوزَ حَالةَ الضَّعفِ، وأن يُحقِّقَ توازُنًا ولو في حُدُودٍ مُعيَّنَةٍ مع الطَّرفِ الذي يُرشِّحُ نفسَه للحِوارِ معه. فذلك التَّوازُن ضَرُوريٌّ للضَّعيفِ لبُلُوغِ مُستَوى الشَّريكِ في الحوارِ، فإذا توَازَنت القُوَى كان هناك مجَالٌ للحِوارِ[34]. ولا يَلزمُ مِنَ الاعترافِ بالآخَرِ الإقرَارُ بأنَّه على حَقٍّ، وإنَّما هو اعترافٌ بالوُجُودِ واحترامٍ للكِيانِ والحُقوقِ البَشريةِ الطَّبيعِيةِ.

فظَاهِرةُ الأُحاديةِ، والانتِقَاصِ مِن شَأنِ الآخَرين، والسَّعي إلى بَسطِ الهيمَنةِ عليهم، وإلَّا فإرهَابَهم ومُلاحقَتَهم والمظَاهَرةُ عليهم، لا تعكِسُ بحَالٍ أيَّ نَوعٍ مِن الاحترامِ المتبَادَلِ. وإن صَحَّ تَقييمُ تلك الظَّواهِرِ على جَانِبٍ آخَرَ، فإنَّما يعكِسُ -بمرارَةٍ- عدَمَ احترامِ أولئك الآخَرين أنفُسَهم وتراثَهم، فحَقَّ فيهم الضَّعفُ والارتخَاءُ وقِلَّةُ الفَاعِليةِ، وتبَدَّدت هَيبَتُهم في نُفُوسِ أندَادِهم.[35]

التعرف على الحضارات الأخرى والاطلاع على تاريخها: فإنَّ الفهمَ للحضَارات الأُخرَى والاطِّلاعَ على مختَلفِ الثَّقافَاتِ وَسِيلَةٌ لغَايَةٍ أعظَم، هي تحقِيقُ النَّجاحِ في إيصَالِ الفِكرةِ الإسلاميةِ الأصِيلةِ الصَّحِيحَةِ إلى الغَربِ. وهو خُطوَةٌ ضَرُوريةٌ في أيِّ حِوارٍ حضَاريٍّ جَادٍ، إذ لا يَستَطيعُ الطَّرفُ الغَربيُّ- الإسلاميُّ، على سَبيلِ المثَالِ، نَقدَ الطَّرفِ الغَربي دُون أن يطَّلعَ على تَاريخِه، ويَفهم فَلسَفَته وطَرِيقَةَ تَفكِيرِه،

ويَستَوعِبَ ثقَافَته جَيدًا. ويَلزَمُ مِن هذا التَّعرُّف أن تَقُومَ كُلُّ حضَارَةٍ بالتَّعريف بحضَارَتها بالطَّريقَة المَناسِبة، والدِّفاع عن حضَارَتها ورَدِّ التُّهم والشُّبه التي تُثَارُ حولَها، وهذا حَقٌّ مِن حُقُوقِها. ومِن هنا وَجبَ على المنتَمِينَ للحضَارَة الإسلامِية أن يَقُومُوا قبلَ الحِوار بنَقل الصُّورَة الصَّحيحَة عن الحضَارَة الإسلامية، وتَصحيح النَّظرَة القَاتمة. فالإعلامُ الغَربيُّ سَلَّطَ الضَوءَ على بَعض التَّصرُّفات التي تَصدُرُ مِن بعض المنتَسبين للإسلام، وهي خَاطِئةٌ، وجَعلَها هي الإسلامَ، ووَصَمَ الإسلامَ بالإرهَابَ وشَوَّه صُورَةَ الحضَارَة الإسلامية عند الكَثِير، حتى أصبحَ الإرهَابُ ما هو إلا نِتاجُ الإسلام![36]

المعرفة: والمقصُودُ بها إدرَاكُ كُلِّ محَاور: ما هَدفَه مِن الحوار؟ وما مَشرُوعُه في الحوار؟ ومدَى استِعدَادِه للحِوار وإمكانيَاتِه؟. ومِن هنا يَلزَمُنا كأُمَّةٌ إسلاميةٌ أن يكون لدَينَا مَشرُوعٌ إسلاميٌّ حضَاريٌّ وَاضِحُ الهدَف، يَنطَلِقُ مِن رُوح الإسلام. ويَنبَغي أن يكون مَشرُوعًا شَامِلًا لمختَلف الجوَانِب، وأن يُقدِّمَ معَالجَات لكَثِير مِن المشكِلات العَالمية مِن أبرَزِها: السَّلامُ العَالميُّ- النِّزاعاتُ الدُّوليةُ- النَّظريةُ الاقتصَاديةُ.

إنَّ الحوارَ بين الحضَارات لا يمكن أن يُؤتي ثِمَارَه حتى تكون مَلامِحَه وَاضِحةٌ لتُحقِّقَ الهدَفَ والمقصُودَ. فقد يكون الهدَفُ هو تَعريفُ كُلِّ طَرف بخُصُوصيَاتَه الثَّقافية والمعرفية للطَّرف الآخَر، حتى يتَحقَّقَ الإدرَاكُ لإيجَابية التَّعامُل، وبنَاءِ علاقَةٍ أكثرَ وضُوحًا بين الطَّرفَين أو الأطرَاف.

خاتمة

إنَّ مَفهُومَ الحِوار بين الحضَارات مَفهُومٌ إسلاميٌّ أَصِيلٌ، له أَدِلَّته ودَلالاتُه، وإنَّ الأَصلَ في الحضَارات الحوارُ لا الصِّراعُ، والحِوارُ له أُسُسٌ وضَوابطٌ مِن: الاعترافِ والتَّعرُّف والمعرفة. فلا بُدَّ لكُلِّ حضَارَةٍ أن تَلتَزمَ بها لنجَاح هذا الحوار. وقد كان للإسلام دَورٌ وَاضِحٌ في هذا الباب. فالإسلَامُ جاءَ لإكمَال مكَارم الأخلاقَ، واحترام كُلِّ ثقَافَةٍ لا تتعَارضُ مع أُصولِه. وهو يَرفُضُ المركَزيةَ الحضَارية، وتهمِيشَ الحضَارات، وسَيطَرةَ حضَارةٍ وَاحِدَةٍ على العَالم تتَصَرَّفُ فيه كمَا تشَاءُ، كما هو حَالُ الحضَارة الغَربية، وسُلوكُها في الوَاقع، في جميع مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والأخلاقية.

والرُّجوعُ إلى الحوار مَشرُوعٌ عَالميٌّ قَبلَ أن يكون فِكرَةً فَردِيةً أو مَشرُوعَ حضَارَة؛ وهو بحاجةٍ إلى خِططٍ وبرَامِجَ ونِياتٍ صَادقَةٍ وتضحِياتٍ كَبيرَةٍ تتنَاسبُ مع حجم المشروع.

الهوامش

1- أبو الحسين أحمد ابن فارس ، معجم المقاييس في اللغة ، (بيروت : دار الفكر ، 1418هـ) ص 287

2- صحيح الإمام مسلم ، الحج ، باب 75 ، الحديث 3340

3- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، بيروت، دار صادر، 1412هـ، الجزء الخامس، ص297.

4- سورة، الانشقاق، الآية 14 .

5- محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، راجعه وعلق عليه الشيخ: هشام البخاري، والشيخ : خضر عكاري، الطبعة الأولى، بيروت: المكتبة العصرية، 1418هـ، الجزء الخامس، ص 515.

6- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، مرجع سابق، ص 218

7- جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، أساس البلاغة، بيروت، دار المعرفة، ص 98.

8- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 487.

9- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، الطبعة الثانية، ص 205.

10- محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، بيروت، دار الفكر، 1414هـ، الجزء السادس، ص 317.

11- يحي بن محمد زمزمي، الحوار، آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ط : 2، عمان، دار المعالي، 1422هـ ص 32 .

12- فيصل المالكي ، "الحوار البناء"، مجموعة نون العلميّة، تاريخ زيارة الموقع:05-07-2017. http://n-scientific.org/1815.

13- رضوان ناصر الشريف ، "كيف يتحاور أهل الحكمة" ، تاريخ زيارة الموقع:05-07-2017. http://adengd.net/news/48582 .

14- صالح بن عبدالله بن حميد، "أصول الحوار وآدابه في الإسلام"، شبكة صيد الفوائد، تاريخ زيارة الموقع:05-07-2017. http://www.saaid.net/ mktarat/m/13.htm..

15- الولي ولد سيدي هيبه ، "عقدة الحوار.. قصور القشرة وصلابة النواة"، جريدة كارافور الأخبار، تاريخ زيارة الموقع: 05-07-2017 . www.carrefor.info/ index.php/.../4646-2014-03-15-14-12-10.html

16- الندوة العالمية للشباب الإسلامي، في أصول الحوار، الرياض : الندوة العالمية، 1415هـ، ص 11.

17- عبدالرحمن النحلاوي ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، الطبعة الثانية، دمشق : دار الفكر، 1995م، ص 206.

18- بسام عجك ، الحوار الإسلامي المسيحي، دمشق : دار قتيبة، 1418ه، ص 20.

19- خالد بن محمد المغامسي، الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، ط 1، الرياض : مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، 1425هـ، ص 32.

20- رسول محمد رسول، من صدام الحضارات إلى حوار الحضارات .. قراءة نقدية في مقولة هنتنغتون، بحوث، http://bohothe.blogspot.com/2010/03/blog-post_4052.html، تاريخ زيارة الموقع، 2017/07/05.

21 - السيد ياسين، حوار الحضارات في عالم متغير، المؤتمر الدولي حول "صراع الحضارات أم حوار الثقافات" القاهرة مطبوعات التضامن 1997، ص37 .

22 - كرم حجازي : بين توتر الذات وصمم الآخر ثمة محاولات للعقلنة، ورقة قدمت إلى ندوة حوار الثقافات التي عقدتها كلية الآداب في جامعة تعز- اليمن، الموسم الثقافي السنوي، 23/5-3/6 – 2004 http://alnadwa.net/ malshar تاريخ زيارة الموقع 05/07/2017

23- www.mapeci.com/Ar/409/kadaya.htm

تاريخ زيارة الموقع 2017/07/05

24- محمد عمارة : التراث والمستقبل ،القاهرة : دار الرشاد، ط 2، 1418هـ 1997-م، ص215

25- أحمد عبد الرازق أحمد : الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، القاهرة : دار الفكر العربي، 1990، ص11.

26 - توفيق محمد سبع : قيم حضارية في القرآن الكريم : عالم ما قبل القرآن، ج1، القاهرة: دار المنار، د.ت، ص31.

27 - المصدر نفسه، ص 41.

28- سورة البقرة، الآية 285.

98 - محمد بن قاسم ناصر بوحجام، الحوار بين الحضارات، مقال منشور على الإنترنت:

http://alnadwa.net/malshar/hewar-hdarat.htm تاريخ زيارة الموقع 2017/07/05

29 - سورة الحجرات: الآية 13.

30 - صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، القاهرة، ط1998م: ص169.

31- سورة آل عمران: الآية 140 .

32- حسين حماده، الحوار القرآني، مجلة المعارك، المجلد الأول، العدد الثامن، 1412هـ، بيروتن لبنان: ص36.

33- طه جابر العلواني، الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر، قضايا إسلامية معاصرة، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط1/1424هـ- 2003م: ص126.

34- عطية فتحي الويشي، حوار الحضارات.. إشكالية التصادم وآفاق الحوار، مكتبة المنار الإسلامية، حولي، الكويت، ط1/1422هـ- 2001م: 274.

35- المرجع نفسه، ص277.

36- لمرجع نفسه، ص، 280.